النشاط الثقافي في الشرق

الصين

كتب جان مونسترليت عن الادب الصيني المعاصر يقول * :

حققت يقظة الشعور القومي الصيني عام ١٩١٩ انتصار النهضة الادبية منذ اخذ الادباء يكتبون « بالباهوا » لغة الشعب المحكية ، بدلاً من «الكوان» لغة المثقفين الكلاسيكيين الميتة .

ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع بين انصار الثقافة الكلاسيكية وانصار الثقافة الجديدة. ويتلخص برنامج المجددين ومجلتهم « الشبيبة الجديدة » بادخال الفكر الغربي ومحاربة العقلية الصينية وقلب الطقوسية الكونفوشيوسية .

وما لبثت الجماعات الادبية المتنافسة ان قامت ونشبت حروب كلامية ومناقشات عنيفة ، وبدأت الاحداث السياسية والحركات الادبية تتبادل التأثير مع ذبذبات دائمة من اليمين الى اليسار حتى استيلاء الشيوعيين على الحكم وفرضهم احتكار الادب البروليتاري .

والواقع ان هناك قضية واحدة تطرح في اشكال مختلفة ، هي ادب الانضواء . فمنذ عام ١٩٢١ يقوم الصراع بين انصار «الفن في خدمة الحياة» وانصار « الفن للفن » وبين الواقعيين والرومانتيكيين وبين اعضاء « جمعية الابحاث الادبية » واعضاء فريق « الخلق » .

وبعد ستة اعوام ، حدث انحراف الى الشمال تحت تأثير الشيوعيين الروس الذين يعملون في كانتون وتحت تأثير الحزب الشيوعي ، فانضم الى الماركسية عدة كتاب ذوي نفوذ على رأسهم الكاتب الرومانتيكي العنيف كوو موجو ، وقد رأوا أن الأوان قد آن «للانتقال من الثورة الادبية الى الادب الثوري». وقد جاء في بيانهم : « ان على الادب ان يحارب جمود البورجوازية والفردية ويحرك الروح الجماعية، ويشيع روح الصراع ويصبح نيو واقعياً ويستلهم المادية وفقاً للنظام الديالكتي الجديد . »

ومقابل هذه الفروض الالتزامية اخذت جمعية « الهلال » وعلى رأسها هوش ، والشاعر سيو تشيمو ، والمؤلف المسرحي تيان هان والناقد لنغ تطالب بحرية الكاتب . وبين هذين الطرفين المتناقضين كان لوزيون واخوه تشوتسوجن ، وهما خير واضعي الدراسات في هذا الجيل الادبي ، يدعوان الى حالة وسطى ، وفي ذلك يقولان : « ان الآثار الادبية الرائعة ليست هي نتيجة امر صادر من الخارج ، وهي لا تخضع للعنف وانما تنبع من اعماق القلب . فاذا فرض على الكاتب موضوع ما ، فهم يختلف ذلك عن التأليف التقليدي الادبي القديم ؟ »

وقد سجل عام ١٩٣٠ انتصار الكتاب الثوريين وتأسيس « جامعة الكتاب اليساريين » التي تضم تحت رعاية الجبهة البروليتارية الكتاب كوو موجو وماوتوان ولوزيون؛ وكل من هؤلاء يمثل نزعة كبرى من النزعات الفكرية ولكنهم يلتقون في تأليف تيار الادب الثوري ، وهو تيار قوي تمتزج فيه اشعار كوو موجو شلالات ذات مياه صاخبة مزبدة تنحدر عن الجبال بعد امطار الصيف المتدفقة ، وروايات ماو توان التاريخية التي تشبه الانهر تتخلل اوحال الريف المصفرة وتكنسح فساد المدن التي تجتازها ، واخيراً مقالات لوزيون الانتقادية ، وهي اشبه بسيول تهاجم الصخور القوية وتفتتها .

على ان كلاً من هؤلاء الثلاثة يحافظ على استقلاله ولا يخضع لأي تأثير خارجي او داخلي . وآثارهم هي آثار المصلحين الاجتماعيين ، لا آثار الدعاة الشيوعيين .

وبالرغم من نجاح جامعة الكتاب اليساريين يظل هناك عدد كبير من الكتاب الانسانيين غير الملتزمين كتشو تسوجان وهوش وبانغسين الخ ... وفي الاعوام الاخيرة لمع روائيان تمتد شهرتها باستمرار ، هما الثوري المنتحل باكان والكاتب المعتدل لاوش . وكانا قد انضما عام ١٩٣٢ الى جماعة « المعاصرين » . وفي عام ١٩٣٤ اشتهر بسرعة كاتب مسرحي شاب يدعى تساويو بفضل كتابه « عواصف » ولكنه لم ينضم الى اي فريق بالرغم من نزعته اليسارية .

وهكذا يبدو ان الشبيبة الصينية ظلت منقسمة متوزعة حتى عام ١٩٣٧ ، وهو تاريخ الحرب الصينية اليابانية . وبوسع المراقب الذي ينظر من فوق الى تيارات هذا الادب المختلفة والجماعات المتباينة ان يميز في اليسار كتلة كبيرة منتجة جداً ، صاخبة مقاتلة ، هي كتلة « الجامعة » : وفي اقصى اليمين بعض الوطنيين من الدرجة الثانية والكتاب الفكاهيين في مجلة « ريح الغرب » ، وفي الوسط فريقاً من المستقلين هم « المعاصرون » الذين تزداد شهرتهم يوماً بعد يوم .

على ان التحرير عام ١٩٤٩ وضع حداً للمعارك القلمية . فقد استدعت الحكومة في شهر تموز من ذلك العام جميع الكتاب والفنانين الصينيين الى بكين ، فلم تمض خمسة عشر يوماً حتى انخرطوا جميعا تحت لواء الادب النيو ديمقراطي واتخذوا لهم شارات، ومنذ ذلك اليوم وضع الفن في خدمة الشعب .

« في العالم الحاضر لا بد لأية ثقافة او ادب ان ينتمي الى طبقة ، الى حزب معين ، وان يتبع مسلكا سياسيا محدداً . فالفن للفن ، الفن الذي هو مستقل عن سير السياسة ، هو غير موجود في الحقيقة » .

هذه هي نظرية ماوتسي تونغ وقاعدة ادب المستقبل الصيني. فبعد ثلاثين عاما من الصراع والذبذبة ، اغلق باب النقاش حول وجوب ادب الالتزام او غير وجوبه . وان انتصار الشيوعية في الصين قد كرس لهذه الفترة، سيطرة الادب البروليتاري .

(*) Les Nouvelles Littéraires No. 1338.

الوكيل العام لمجلة « الآداب »

ومنشورات « دار العلم للملايين »

في تونس

دار الكتب العربية الشرقية

لصاحبها السيد محمد خوجه